

يثرّب مكان انطلاق الدعوة الإسلامية وانتشار نورها في ربوع الكون

الهجرة.. أعظم أحداث التاريخ ونقطة التحول في الدعوة للإسلام

تجلت قدرة الله الجبار في حفظ نبيه من مكر

الكافرين بعد أن أجمعوا أمرهم على قتله

كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة، أعظم حدث حول مجرى التاريخ، وغير مسيرة الحياة ومناهجها التي كانت تحياها، وتعيش محكومة بها في صورة قوانين ونظم وأعراف، وعادات وأخلاق وسلوك للأفراد والجماعات، وعقائد وتعبّدات وعلم ومعرفة، وجهالة وسفه وضلال وعدى، وعدل وظلم.

وبعد أن مثّلت قريش بالفشل في منع الصحابة -رضي الله عنهم- من الهجرة إلى المدينة، على الرغم من أساليبهم الشيعة والقبيلة، فقد أدركت قريش خطورة الموقف، وخافوا على مصالحهم الاقتصادية، وكيانهم الدّوّة للشّاور في أمر القضاء على قائد الدعوة، وقد تحدّث ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يُبْدِلُوكَ بِكَ يَزِيدُوكَ غِلًا وَكَيْفَ لِيُبْدِلُوا كَيْفَ خَيْرُ مَا كَفَرُوا) [الأنفال:30] فقال: فتشاورت قريش بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح قاتلوه بالوثائق، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: إن أخرجوه، فاطلع الله نبيه على ذلك فبات علىّ على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وأخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليّاً رد الله كبرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقترحوا أنْهم فلما بلغوا الجبل أخلطت عليهم الأمّ، فصعدوا الجبل ففروا بالغار فرأوا على بابهم شجج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن شجج العنكبوت على بابهم، فمكث فيه ثلاثاً.

قال سيد قطب في تفسيره لأيات التي تتحدّث عن مكر المشركين بالنبي صلى الله عليه وسلم: «إنه التذكير بما كان في مكة، قبل تغير الحال، وتبدل الموقف، وإنه ليوحى بالثقة واليقين في المستقبل، كما ينبهه إلى تدبير قدر الله وحكمته، فيما يقضي به ويامر، ولقد كان المسلمون الذين يخاطبون بهذا القرآن أول مرة، يعرفون الحالين معرفة الذي عاش وراى وذاق، وكان يقف أن يذكروا بهذا الماضي القريب، وما كان فيه من خوف وقلق، في مواجهة الحاضر الواقع وما فيه من أمن وضمانة، وما كان من تدبير المشركين ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، في مواجهة ما صار إليه من غلبة عليهم، لا مجرد النجاة منهم.

لقد كانوا يمتكرون ليوقنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبسوه حتى يموت، أو ليقنوه ويتخلصوا منه، أو ليخرجوه من مكة منفيّاً مطروداً، ولقد انتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله، على أن يتولى ذلك المكر قتلة من القبائل جميعاً، لينتفح دمه في القبائل، ويعجز بنو هاشم عن قتل العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر (ويمتكرون ويمنّر الله والله خيرُ الماكرين).

إنها صورة ساذجة وهي في الوقت ذاته صورة مفزعة، فإن هؤلاء

من فضائل المدينة المنورة

العصمة من الدجال والطاعون والبركة الدائمة

لقد عظم شرف المدينة المنورة المباركة بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها، حتى فضلت على سائر بقاع الأرض حاشا مكة المكرمة، وفضائلها كثيرة منها:

1 - محبته صلى الله عليه وسلم لها ودعاؤين لها:

دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه قائلا: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشده» وعن انس رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر، فايقص إلى درجات المدينة، أوضح ناقته وإن كان على دابة حركها» قال أبو عبد الله: زاد الحارث بن عمير عن حميد «حركها من حبها».

2 - دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها بضعفي ما في مكة من البركة:

فعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

جعلت بمكة من البركة»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان الناس إذا رأوا أول أتمر جاءوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم بارك لنا في ثمرتنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليفك ونبيك وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاء لك، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك مكة ومنته معه» قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر.

3 - عصمتها من الدجال والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم:

إن الله تعالى قبض لها ملائكة يحرسونها، فلا يستطيع الدجال إليها سبيلا، بل يلقي إليه بأخوانه من التفكر والمناقض، كما أن من لوازم دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالصحة ورفع الوباء ألا

ينزل بها الطاعون، كما أخبر بذلك العيصوم صلى الله عليه وسلم. 4 - فضيلة الصبر على شدتها: فقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على شدة المدينة وضيق عيشها بالشفاعة يوم القيامة، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعيا أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها، وجهدا إلا كنت له شفيعا» 5 - فضيلة الموت فيها: فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استأفح أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها»، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو بهذا الدعاء: (اللهم أرزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك صلى

الله عليه وسلم). وقد استجاب الله للغاروق رضي الله عنه فاستشهد في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم المسلمين في صلاة الفجر. 6 - هي كهف الإيمان وتنفى الخيبت عنها: فالإيمان بلجا إليها مهما ضاقت به البلاد، والأخيات والأشوار لا مقام لهم فيها. 7 - حكمة الله بحفظها من كل قاصد إيها بسوء، وتودع النبي صلى الله عليه وسلم من أحدث فيها حدثا، أو آوى فيها محدثا، أو أخاف أهلها، بلعنة الله وعذابه، وبإهلاك العاجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا أنماح، كما ينماع الله للبح في الماء»، وقال صلى الله عليه وسلم: «المدينة حرم الله، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة عدل، ولا صرف».) 9 - تحريمها:

لقد حرّمها النبي صلى الله عليه وسلم بوحى من الله فلا يراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح، ولا يروح فيها إحد، ولا يقطع فيها شجر، ولا تحل لفظتها إلا لنشد، وغير ذلك ما يدخل في تحريمها قال صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، حرّمته المدينة كما حرم إبراهيم مكة» ودعوت لها في مدحا وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام مكة».

وقال صلى الله عليه وسلم: «هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها»، يعني المدينة، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يختلي خللا ولا يقر صديعا ولا تنقطع لفظتها إلا لمن أشار بها ولا تقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيرة ولا تحمل فيها السلاح لقتال».

إن هذه الفضائل العظيمة جعلت الصحابة يتعلقون بها، ويحرصون على الهجرة إليها، والمقام فيها، وبذلك تجمعت طاقات الأمة فيها، ثم توجهت نحو القضاء على الشرك بأنواعه، والكفر باشكاله، وفتحوا مشارق الأرض ومغاريها.

«الصحبة» قالت: فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راخلتان قد كتبت أعدتهما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أريقط رجلا من بني الديل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بني سهيم بن عمرو، وكان مشركا يدلهما على الطريق، فدفعا إليه راخلتيهما فكاتنا عنده يرعاهما ليعادهما.

قالت عائشة: فجهرناهما أحدث الجاهل، وصلحنا لهم سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بخار في جبل ثور فمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام، شاب، لقف لقف، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كماثت، فلا يسمع أمرا يُقدّاران به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك، حين يخطط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فريخها عليها حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل- وهو لمن منحتهما ورضيفهما- حتى ينزع بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله

مكة، وقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولو لا أني أخرجت منك ما خرجت».

ثم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بطش المشركين، وصرفهم عنهم.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس: (إن المشركين اقتفوا الأثر حتى إذا بلغوا الجبل جبل ثور أخلطت عليهم، فصعدوا الجبل ففروا بالغار، فرأوا على بابهم شجج العنكبوت فقالوا: لو دخل هاهنا أحد لم يكن شجج العنكبوت على بابهم) وهذه من جنود الله عز وجل التي يخذل بها الباطل، وينصر به الحق؛ لأنه جنود الله جلّت قدرته أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإذا كانت مادية فإن خطرهما لا يتتمل في ضخامتها فقد تفككت جرتومة لا تراها العين بجيش ذي لجب، قال تعالى: «وَمَا يَغْلَى جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَـُٔى إِلَّا بُكْرَى لِلنَّبِيِّ» [القدر: 31]. أي وما يعلم جنود ربك لقرط كثرتها إلا هو، فجنود الله غير متناهية؛ لأن مقوراته غير متناهية، كما أنه لا سبيل لأحد إلى حصر المكتات والوقوف على حقائنها وصفاتها ولو إجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة.

الموقع الإستراتيجي وصلة القرابة مع النبي وعزة الأوس والخزرج أهم الأسباب

لماذا اختيرت المدينة عاصمة للدولة الإسلامية؟

قبيلة أو حكومة إتاةة أو جباية، يقول ابن خلدون؛ ولم يزل هذان الحيان قد لقبوا على يرب، وكان الاعتزاز والمنعة تعرف لهم في ذلك، ويدخل في مقلتهم من جاورهم من قبائل مضر.

وكان بنو عدي بن النجار أخواله صلى الله عليه وسلم، قام عبدالمطلب بن هاشم إحدى نسبهم، فقد تزوج هاشم بسلمي بنت عمرو أحد بنى عدي بن النجار، وولدت لهاشم عبدالمطلب، وترته هاشم عندها، حتى صار غلاما دون المرافقة، ثم احتلمه عنه المطلب، فجاء به إلى مكة، وكانت الأرحام يحسب لها حساب كبير في حياة العرب الاجتماعية، ومنهم أبو أيوب الأنصاري الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره في المدينة.

وكان الأوس والخزرج من لحيان، والمهاجرون ومن سبق إلى الإسلام في مكة وما حولها من عدنان، ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وقام الأنصار ببنصره، اجتمعت بذلك عدنان ولحيان تحت لواء الإسلام، وكانوا كجسد واحد، وكانت بينهما مفاصلة وبسبيلة في الجاهلية، وبذلك لم يجد البشطان سبيلا إلى قولهم لإثارة الفتنة والتعزّي بغزاء الجاهلية، باسم الحمية المحطانية أو العدنانية، فكانت لكل ذلك مدينة يرب اصليح مكان لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه واتخاذهم لها دارا وفرارا، حتى يلقى الإسلام ويشق طريقه إلى الأمم، ويفتح الجزيرة ثم يفتح العالم للمؤمن.

كيفية إعداد المؤمنين لمغادرة الأرض والأهل والأموال من أجل العقيدة

- تناول القرآن المكي الفتوية بالهجرة، ولبّ النظر إلى أن أرض الله واسعة، قال تعالى: «فل يا عباد الذين آمنوا اتقوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يؤلف الصابرون أجرهم بغير حساب».

ثم تلا ذلك نزول سورة الكهف، وتحدثت عن الفتية الذين آمنوا بربهم وعن هجرتهم من بلدهم إلى الكهف، وهكذا استقرت صورة من صور الإيمان في نفوس الصحابة وهي ترك أهلها ووطنها من أجل عقيدتها. ثم تلا ذلك آيات صريحة تتحدث عن الهجرة في سورة النحل. قال تعالى: «والذين هاجروا في الله من بعد ما نطقوا بنبؤنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون» [النحل: 41،42].

إن الهجرة إلى المدينة سبيلها تمهيد وإعداد وتخطيط من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك بتقدير الله تعالى وتدبيره، وكان هذا الإعداد في أنجاهم، إعاد في شخصية المهاجرين، وإعاد في المكان المهاجر إليه.

لم تكن الهجرة نزهة أو رحلة يروح فيها الإنسان عن نفسه، ولقنها تعني مغادرة الأرض والأهل، ووشائج الغريبي، وصلات الصداقة والمودة، وأسباب الرزق، والتخلى عن كل ذلك من أجل العقيدة، ولهاذا احتاجت إلى جهد كبير حتى وصل المهاجرون إلى فئاعة كاملة بهذه الهجرة ومن تلك الوسائل:

- التربية الإيمانية العميقة التي تحدّثنا عنها في الصلحات الماضية.

- الاضطهاد الذي أصاب المؤمنين حتى وصلوا إلى فئاعة كاملة بعدم إمكانية المعاشية مع الكفر.